

## جماليات الفضاء في «الأيام»

### (مع التركيز على البعد النفسي للشخصية)

علي رضا مُجَدِّرضائي\*<sup>١</sup>، جهاد فيض الاسلام<sup>٢</sup>، عيبر جادري<sup>٣</sup>

١. أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، فريديس الفارابي

٢. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، فريديس الفارابي

٣. طالبة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، فريديس الفارابي

تاريخ استلام البحث: ١٩/٠٢/٩٤ تاريخ قبول البحث: ٠٨/٠٩/٩٤

### الملخص

يعدّ عنصر الزمان والمكان، من أهم عناصر السرد في بلورة الفضاء الروائي. فعلى نبضات الزمن تُثبت الأحداث وقائعها وفي حيز المكان تتحرك الشخصية وفي إطار اللغة ببعديهما الزماني والمكاني يتألف النص السردي وتتكوّن الرواية. هذان العنصران يدخلان في علاقات متعددة مع مكونات حكاية أخرى كالشخصيات والأحداث في الرواية. فتنشأ بذلك علاقة جدلية بينهما؛ تلك العلاقة الضرورية التي تمنح العمل الروائي خصوصيته وطابعه ويكتسب المكان والزمان والفضاء بذلك صفتها ومعانيها. بناء على ذلك، ظهرت على الساحة الأدبية بعض الأعمال الروائية ذات الصبغة الواقعية نحو رواية «الأيام» لطف حسين التي أجمعت نحو سرد الواقع. السيرة الذاتية.. يتناول هذا البحث كتاب الأيام ضمن إطار الرواية مستنهضاً الأمكنة والأزمنة، راصداً مكامن الجمال، مركزاً على البعد النفسي للشخصيات بتناوله المكانين (عند الآخرين) و (عندي) حسب تقسيمات لوتمان "lotman" الأربعة للفضاء، تاركاً المكانين العامة واللامتناهي منها إلى بحث آخر وأيضاً التقاطبات المكانية في الرواية. استعان البحث بالمنهج الوصفي. التحليلي وأحياناً المنهج النفسي والذي كانت الشواهد فيه مستقاة من نصوص الرواية نفسها.

الكلمات الرئيسية: طه حسين؛ الأيام؛ الفضاء؛ الزمان؛ المكان؛ الشخصية.

## المقدمة

ظهرت على الساحة الأدبية بعض الأعمال الروائية ذات الصبغة الواقعية. فمن تلك الآثار التي أجهت نحو سرد الواقع. السيرة الذاتية. كتاب "الأيام" لطف حسين. هذا الكتاب قصة حقيقية تحتوي على أحداث واقعية تحدّث طه حسين فيها بكل مصداقية وصراحة. فقد قام الكاتب فيها بتعميق حيوية الفضاء، وتوثيق الزمان والمكان في إطار رؤية روائية تجمع بين الأدبي والتاريخي في فترة كان الروائيون الجدد مهتمين بإغراق المكان في الرمزية. فالرواية تعدّ كلاسيكية وإن لا تخلو من جماليات الرواية الحديثة في استخدام التقنيات السردية من توظيف للدلالات المكانية والزمانية باعتبارهما مكونين أساسيين بجانب الشخصية في بلورة الفضاء الروائي.

فبما أنّ الرواية تحتاج إلى أمكنة عدة تواكب تطور الحوادث وحركة الشخصيات، يشكل مجموع الأمكنة الروائية، والفضاء الروائي، بحيث يعدّ المكان مكوناً من مكونات الفضاء وعلى الرغم من ذلك «فإن مفهوم مصطلح (الفضاء الروائي) يتسع ليشمل العلاقات المكانية أو العلاقات بين الأمكنة والشخصيات والحوادث ويعلو فوقها كلها ليصبح نوعاً من الإيقاع المنظم لها إضافة إلى أن بنية هذا الفضاء تكشف عن الحال الشعورية التي تعيشها الشخصية وقد تسهم في التحولات الداخلية التي تطرأ عليها؛ لأن الشخصية تخترق المكان حاملة وجهة نظرها الخاصة، والفضاء يؤثر تلك العلاقات بين المنظورات أو وجهات النظر والحوادث والأمكنة» (الفصل، ٢٠٠٣: ٢٥٣). وفي مكان آخر يجعل الدكتور "سمر روهي الفيصل" الفضاء معادلاً للمساحة المكانية وفي رأيه: «أن المكان لا يظهر إلا من خلال وجهة نظر شخصية تعيش فيه أو تخترقه» (الفصل، ٢٠٠٣: ١٢٦). يمثّل الفضاء إلى جانب الشخصية والزمن الروائي والحدث، الأسس الفنية والجمالية التي ينهض عليها المتن الروائي. إنّ «الفضاء أو الحيز<sup>١</sup> ليس هو المكان الذي تجري فيه المغامرة المحكية ولكنه أيضاً أحد العناصر الفاعلة في تلك المغامرة نفسها» (عمر، ٢٠٠٣: ٣٧).

ففي ضوء ما تقدّم؛ إنّ الفضاء هو الإطار الذي يشمل الأحداث لأنّ الحدث الروائي لا يقدر

إلا مصحوباً بجميع إحداثياته الزمانية والمكانية. إنّه بتعبير آخر «يشمل البيئة الطبيعية والصناعية والشوارع وكل الأماكن التي تعيش فيها الشخصيات الروائية كما يشمل الوقت من اليوم وما يترتب عليه من أضواء أو الظلمة أو الطقس بكل أحواله والأصوات والروائح» (الأحر، ٢٠١٠م: ١٢٥).

«فمن هنا يبدو للمكان قيمة ودور كبير في تحديد الخصائص الفكرية والنفسية للشخصية وأنّ وظيفته هو إلقاء المزيد من الضوء على الشخصية بغية الكشف عن عالمها الفكري والنفسي. كما يرى "محي الدين صبحي": «أنّ بيت الإنسان امتداد لنفسه إذا وصفت البيت فقد وصفت الإنسان» (صبحي، لاتا: ٢٣). أو ما يسمّى بالمعنى الأدقّ «المكان النفسي وهو المكان المصوّر من خلجات النفس وتجلياتها وما يحيط بها من أحداث ووقائع» (النبلسي، ٢٠٠٦ م: ١٦). إن المكان، بهذا التعريف يصبح هو الحامل للدلالة والموحي بها. فبالتالي يمكننا القول بأنّ العمل الأدبي حين يفتقد المكانية فهو يفتقد خصوصيته وأصالته. فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنيّة التي تدركنا ببيت الطفولة، ومن جهة أخرى، المكان هو الكيان الاجتماعي الذي يحتوي علي خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، فيكون شأنه شأن أيّ نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءاً من أخلاقية وعي ساكنيه.

يبني "لوتمان" نظريته على ادراكه الشامل للفضاء المشتغل علي التقاطبات المكانية والتراتبية والرؤية وأيضا تقسيم الفضاء إلى: المكان عندي والمكان عند الآخرين واللامتناهي والأماكن العامة. فانطلاقاً من تلك الآراء عالج البحث المكان عندي وعند الآخرين في الرواية تاركاً المكانين الآخرين لبحث آخر. كما تناول في تحليل الفضاء التقاطبات المكانية منه، علماً بأن تلك التقسيمات خاضعة للشخصية لذلك اتخذ البحث تلك التقسيمات دليلاً له في غوصه أعماق شخصية الراوي خاصة في انفعالاته وإضفاء تلك المشاعر عليه. فكلمًا بيدي الراوي براعة في تعريفها وتقديمها للقارئ على ضوء ربط الفضاء بمكوناتها الزمان والمكان والشخصية اقتراب من الموضوع المقصود بجنه. لذلك نلاحظ تبايناً بين الروائيين العرب في معالجة الفضاء الروائي، فقد أخفق بعضهم في ربط الأمكنة بالحوادث ومنظور الشخصيات والنتيجة هي أنّ المكان فيه مكان جامد لا حياة فيه ونجح روائيون آخرون في أن يجعلوا الأمكنة الروائية متكاثفة تؤثر في الحوادث

وتتأثر بها. ففي حالي الإخفاق والنجاح، يقدم المكان الروائي بواسطة الوصف واستخدام الصورة الفنية وتوظيف الرموز. فالروائي حين يلجأ إلى الوصف يبذل قصارى جهده للبرهنة على قدرته وأن يجعلنا نرى الأشياء أكثر وضوحاً «لأنّ الوصف هو ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات. إذن فلا بدّ أن يحمل معنى وحقيقة وهما أبعد من حقيقة الملموسة» (قاسم، ١٩٨٤م: ٨٠).

تبين أنّ جماليات المكان تعكس لنا الفروق الاجتماعية والنفسية والإيدلوجية لدى الشخصيات الروائية فضلاً عن أنّ الدلالات النابعة من هذه الفروق يمكن أن تكون تعبيراً عن رؤية الشخصيات للعالم وموقفهم منه كما قد تكشف عن الوضع النفسي لهم بحيث يصير للمكان بعد نفسي يسر أغوار النفس البشرية عاكساً ما يثيره المكان من انفعال سلمي أو ايجابي. وعلى حد تعبير "صبحي الطعان": «للمكان قيمة تتوضح باكتشاف الأبعاد الثلاثة فيه البعد الجمالي والدلالي والإيدلوجي» (الطعان، ١٩٩٥م: ٥٤). فيما أنّ هناك علاقة تلازمية وجدلية بين الزمان والمكان ولا يمكن أن يدرسا منفصلين عن الآخر، تأتي معالجهما معاً في دراسة الرواية باعتبارهما المكونين الرئيسين للفضاء. فلا مكان يتشكّل ويتحوّل ويتجلّى إلاّ بعامل زمني معيّن ولا زمان يرصد ويقوم ويحدّد إلاّ بمكان يحتويه. فالمكان هو الذي يسجّل الإنسان عليه ثقافته، وفكره، وفنونه، ومخاوفه، وآماله، وأسراره، وكلّ ما يتصل به من ماضيه ليورثه إلى المستقبل. ومن خلال الأماكن نستطيع قراءة ساكنيها السايكولوجية فهي وسيلة فاعلة في الحدث ولاغاية.

يعدّ الزمان من العناصر الرئيسة في الرواية العربية المعاصرة، والشخصية أساسها، وقد يختلف مفهومه عن المفهوم الروائي. فالزمن الروائي يتّسع وقد يتقلّص وقد نجد فيه ثغرات ولا يشترط فيه التقسيم المعروف للزمن الموضوعي أي الماضي، ثم الحاضر ثم المستقبل. «فلا يطلب من الروائي أن يجسّد شكل الزمن الواقعي وصورته فقد يختصر في جملة واحدة أحداثاً تستغرق مدة طويلة من الزمن الواقعي» (القصراوي، ٢٠٠٤م: ٣٩). يعدّ التلاعب الحر والمراوحة الحرة بين الأزمنة والتي تمثّلت في الاسترجاع الزمني للأحداث والاستشراف المستقبلي من تقنيات الراوي في الرواية مع التركيز على البعد النفسي وتصوير خلجات النفس. يتناول المقال، الأمكنة عندي وعند الآخرين في الرواية (نحو البيت، والطريق، والكتاب والأزهر) من المنظور النفسي، ومتداخلاً مع الزمن. ينتهج البحث المنهج الوصفي. التحليلي وأحياناً المنهج النفسي في تناوله للرواية محاولاً دراستها

بموضوعية.

### أسئلة البحث

يحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة التالية: - ما مدى تلازم العلاقة بين المكان والزمان في الكشف عن جماليات الفضاء الروائي، وما مدى تأثيرهما وتأثرهما على نفسية الراوي؟ . ما هو دور التقاطبات المكانية، ومدى أثرها في تبين الصراعات والأفكار المتناقضة؟

### فرضيات البحث

تبين مدى انعكاس الانفعالات النفسية وانطباعها على الفضاء وأن نفسية "طه حسين" ومشاعره كيف لصقت بالمكان، والزمان وأصبحت جزءاً منه في أطوار حياته، وأن تضافر الحواس معا كيف وطدت تلك المشاعر لدى الشخصية في اختراقها للزمان والمكان خاصة في حضورها في الأمكنة (عندي) و(عند الآخرين) فضلا عن التقاطبات الفكرية، والثقافية، والجهوية التي واجهتها الشخصية في "الأيام".

### خلفية البحث

قد حظيت شخصية "طه حسين" باهتمام كبير عند الأدباء والكتّاب كما احتلت آثاره وكتبه مكانة سامية في الأوساط الأدبية. لقد شدّ الأنظار إلى أدبه وأسلوبه بسبب خوضه المعارك الأدبية وما أثاره من قضايا في الأدب العربي. يعتبر كتاب "الأيام" من الآثار التي حظيت علي ساحة الدراسات العربية والدولية باهتمام بالغ. من جملة الدراسات التي عاجلت هذا الكتاب هي:

□ «خصوصية التشكيل الجمالي للمكان في أدب طه حسين»، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، أكتوبر ١٩٩٠، العدد ٣٣ و ٣٤، ص ٤٩ . ٥٩ . فما قامت به السيدة "نبيلة إبراهيم" في مقالتها يعتبر محاولة محمودة في هذا المضمار وما يميّز بحثنا عن تلك المقال هو التركيز على مدى انعكاس المشاعر وأحاسيس الراوي على المكان والزمان والفضاء في الأيام وليس التشعب في البحث والمقارنة بين أدبه وأدب سائر معاصريه.

□ «ماذا يقول عميد الأدب العربي في الجزء الثالث من الأيام» ل"ريمون فرنسيس" الذي

يتحدث عن نضال طه حسين مع الأيام مع الأيام نشر البحث في مجلة الفكر المعاصر، ابريل ١٩٦٨، العدد ٣٨، ص ٤٨ - ٥٢. كما نرى مقالتي ورسالتين جامعتين كتبت باللغة الفارسية:

- «بررسي تطبيقي الأيام طه حسين وروزهاي مُجدعلي اسلامي ندوشن» (دراسة الأيام لطف حسين و الأيام محمد اسلامي نوشن دراسة مقارنة محمد نصر اصفهاني، ومريم ايرانمنش، نشرت بمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة كرمان، خريف و صيف ٢٠١١، السنة ٤، العدد ٧، ص ١ - ٢٤).
- «تشبيه واستعاره در سه كتاب طه حسين: الأيام، علي هامش السيرة والإسلاميات» (التشبيه والاستعارة في ثلاثة كتب لطف حسين: الأيام، علي هامش السيرة والإسلاميات)؛ قامت بدراستها السيدة اشرف زماني فر، جامعة أصفهان، كلية اللغات.

□ «بررسي وتحليل عناصر وموضوعات الأيام طه حسين» (دراسة العناصر والمواضيع الواردة في الايام لطف حسين، فروزان خسروي جامعة لرستان). هناك محاولات قيّمة ومقالات ورسائل جامعية وكتب تناولت جماليات المكان والزمان في بنية الشعر والسرد العربي لكن قلّما تناولت جماليات المكان والزمان في أدب طه حسين. فيبدو أن بحثنا هذا جديدٌ في حدّ ذاته؛ إذ إنّ الزمان والمكان جمالياتهما ورمزيتهما أصبحت مغفولة في رواياته خاصة "الأيام" فلا نكاد نرى بحثاً تطرّق إلى هذا الجانب في آثاره. فجاء هذا البحث متناولاً جماليات الفضاء فيه ملقياً الضوء على جانب من أدبه الزاخر.

## الأيام

ولد "طه حسين" في ١٤ نوفمبر ١٨٨٩م؛ في قرية "الكيلو" ضاحية لمدينة "مغاغة" في الصعيد الأوسط من مصر (علي، ١٩٨٥م: ٩). قد أعطانا من أفكاره وكتبه الكثير وسوف تكون حياته هي نفسها أحسن وأعظم كتاب يصدر عنه. فهو ابن شيخ فقير تربّى في ظلال القرآن ثمّ كان له أن يغدو أزهرياً شأن أخيه الأكبر يقرأ التفاسير على الطريقة المعهودة، فعبر من صحن الأزهر إلى ضفاف الثقافة الفرنسية فغدا غربي التفكير والاتّجاه.

"الأيام" هي سيرة ذاتية تقع في ثلاثة أجزاء وتشتمل على ثلاثة أطوار حياته بدءاً من الطفولة في قرينته ودراسته في الكتاب، إلى الطور الثاني والأزهر ثمّ إلى الطور الثالث حيث فرنسا. فهي رواية واقعية تاريخية صوّرت مسار حياة "طه حسين" بواقعية وما طرأ عليه من أحداث في تسلسل

زمني منطقي قائم على السببية وتتابع الأحداث. إن أسلوبه في "الأيام" هو السهل الممتنع الجديد الذي يؤه مكانة متميزة في تاريخ الأدب العربي فهو أول من كتب في أدبنا الحديث السيرة الذاتية بشكل أدبي قصصي متفرد فضلاً عن الجرأة في عرض مكونات حياته فنلمس في ماكتب من سيرة حياته، سخرية مبطنّة وتهكماً ومداعبة هازئة تستثير القارئ حتى النهاية بحيث تجعله لا يملّ من قراءتها.

### المكان في الرواية

في كتاب "الأيام" ثمة تركيز لا يخفى على عنصر المكان والزمان؛ تستطيع تناول المكان والزمان كلاً على حدة في دراسة أي نصّ لكن تناولهما معاً قد يسهم في إثراء تلك الدراسة. ففي كتاب الأيام ثمة تركيز لا يخفي علي عنصر المكان والزمان فهما يحضران معاً في تلازم علاقتهما الجدلية في دراسة الرواية وإن كان عنوان الكتاب يحمل دلالة زمنية صريحة. لقد أغنى "طه حسين" الأيام بالأمكنة الروائية واهتمّ بجماليات المكان مع التنوع فيه: البيت، السياج، الطريق إلى الكتاب، المقهى، بيت المفتش، صحن الأزهر الربع، غرفته في القاهرة الطريق بين الأزهر والبيت، الجامعة، فرنسا سوربون... هذه الأمكنة هي مسرح أحداث حياته التي عكست روحه وشخصيته قبل كل شيء تأسيساً على ذلك. تناول هذا البحث الفضاء في الرواية حسب تقسيمات لوتمان الأربعة للفضاء: المكان عندي وعند الآخرين تاركاً المكان اللامتناهي والأماكن العامة الي بحث آخر. فلعلّ منهما خصائص ومميزات تعكس طبيعتهما والشخصية التي تعيش فيه وتعكس أيضاً التصارع والتيارات المتناقضة آنذاك عبر التقاطبات المكانية في تحليل الفضاء.

### التقاطبات في الأيام

«لقد بذل الكثير من النقاد والباحثين جهوداً كبيرة من أجل الكشف عن دلالة الفضاء ودوره في بناء الرواية؛ منهم لوتمان حيث بنى دراسته على مجموعة من التقاطبات المكانية التي ظهرت على شكل ثنائيات ضدية تجمع بين عناصر متعارضة وتعبّر عن العلاقات والتوترات التي تحدث عند اتصال الراوي أو الشخصيات بأماكن الأحداث... فلغة العلاقات المكانية تصبح من الوسائل الأساسية للتعرف على الواقع. إذن مفاهيم نحو: الأعلى/ الأسفل، القريب/ البعيد، المفتوح/

المغلق، كلّها تصبح أدوات لبناء النماذج الثقافية دون أن تظهر عليها أية صفة مكانية» (الأحمر ٢٠١٠م: ١٢٨). فبناء على ذلك، تتمثل التقاطبات المكانية في الشرق، والغرب، والمدينة، والقرية، والأزهر، والجامعة في "الأيام"؛ حيث يمثل الريف مكاناً مغلقاً مقابل القاهرة (المفتوح)، والأزهر مقابل الجامعة، ومصر مقابل فرنسا، والشرق مقابل الغرب. إن الشرق عبارة عن الإنغلاق، والقديم، والتخلف، والغرب عبارة عن الإنفتاح، والتقدم.

«إنّ المكان بارتباطه بالإنسان يتخلى عن جغرافيته الحيادية ليصير مكاناً ثقافياً بامتياز ولأنّ التقاطب لا يبرز إلا من خلال المضامين التي تتخذها تلك الأمكنة فلا قيمة لتقسيم العالم الى شمال وإلى جنوب وإلى شرق وغرب إذا لم يتعدّ الأمر تحديد الجهة. إن ثنائية (الشرق/ الغرب) و (الشمال/ الجنوب) تحتل موقعها الثقافي من خلال المضمون الاجتماعي الذي يتلبس طرقي تلك الثنائية» (زيتون، ٢٠١١م: ٧٦). ففي الحقيقة التقاطب والثنائية الموجودة في "الأيام" وبين الشرق والغرب ليس تقاطباً جهوياً فحسب بل يتحول إلى تقاطب ضديّ وبالأحرى تقاطباً ثقافياً مركزاً إلى ثنائية (التقدم/ التخلف).

قارن "طه حسين" بين الحياة في مصر وبينها في أوروبا مجسداً التقاطبات المكانية على النحو الآتي: «استقبل الفتى حياته في مدينة "مونبلييه" سعيداً بها وكان يكفيه أن يفكر في صباح ذلك البائس الذي قضاه متردداً بين الأزهر و"حوش عطا" تشقى نفسه في الأزهر ويشقى جسمه ونفسه في حوش عطا. قضى حياة مادية ضيقة عسيرة كأقصى ما يكون الضيق والعسر وحياة عقلية مجدبة فقيرة كأشدّ ما يكون الإجداب والفقر ونفس مضیعة بين عسر الحياة المادية وفقرالحياة المعنوية... كانت الحياة الفرنسية، هيئة ميسرة، حين تقاس إلى ما كان يلقاه في مصر من قسوة الحياة وشظفها» (حسين، ١٩٩٢م: ٣١١). تجلّت التقاطبات المكانية بشكل جليّ في الأيام نكاد نجزم القول بأنّه هو التقاطب بعينه. لا يكتفي "طه حسين" بنقد لاذع للأمكنة خاصة (الأماكن عند الآخرين) كالأزهر من فقر مادي وعسر، بل يسقط عليها إجداباً عقلياً وتخلفاً معنوياً يشمل مصر وأهلها ويقارن هذه الحياة العسيرة بتلك الهنيئة في فرنسا. وعلى صعيد الداخل نرى تقاطباً بين الجامعة والأزهر حيث الأولى يقصدها المعمم والمطربش والثانية المعممون وحدهم: «أنّه لم يلبث أن عرف أنّها مدرسة لا كالمدراس وأحس أنّ مزيتها الكبرى عنده أنّ الدروس التي

ستلقى فيها لن تشبه دروس الأزهر من قريب أو بعيد وأنّ الطلاب الذين سيختلفون إليها لن يكونوا من المعممين وحدهم بل سيكون فيهم المطربشون وعسى أن يكونوا أكثر عددا من أصحاب العمائم» (حسين، ١٩٩٢م: ٣١١).

ثمّة تقابل بينهما من حيث الدروس والطلاب فبالتالي من حيث الثقافة والفكرة والاهتمام بالطالب: «الأستاذ يبدأ الدرس فيها بكلمات لم يسمع بها الفتى من قبل: أيها السادة ! أحييكم تحية الإسلام: فأقول السلام عليكم ورحمة الله! وكان الفتى يسمع في الأزهر كلاما آخر لا يتجه به الشيوخ إلى الطلاب وإنما يتجهون به إلى الله عز وجل فيحمدونه ويثنون عليه ولا يجيبي فيه الشيوخ طلابهم وإنما يصلّون فيه على النبي وعلى آله وأصحابه أجمعين» (حسين، ١٩٩٢م: ٣١١). لا تقتصر هذه الثنائيات والتقاطبات على صعيد الأمكنة بل تمتد إلى مجال الذات للشخصية عند طه حسين حيث التقاطب وثنائية الشعور بالسعادة المشرقة والشقاء المظلم في أثناء سفره «منذ ترك القاهرة إلى أن بلغ باريس حيث اشتد عليه ذلك العناء والشقاء حين ركب السفينة لأول مرة وخرج من زبّه الأزهرى ودخل في زبّه الأوربي» (حسين، ١٩٩٢م: ٤٢٨). تجلت التقاطبات والثنائيات واضحة بين الاختلاف في الأزياء والتقاطب الثقافي فضلا عن التقاطب الجغرافي ثم التقابلات النفسية والشعور المتراوح بين التعاسة، والقهر من كفتّ البصر وبين الفرح التي يستشعرها في باريس في مواصلة الدراسة.

### المكان عندي

تحتوي الرواية على مكانين متناقضين هما: (المكان عندي والمكان عند الآخرين). وقد وظّف طه حسين هذين المكانين ليكشف من خلالهما عن الطبيعة الفكرية والنفسية لشخصياته ولنفسه كذلك. إنّ «المكان عندي هو الذي يتّسم بالألفة كالبيت» (الأحمر، ٢٠١٠م: ١٢٨) وكأّته أصبح طوبوغرافية وجودنا الحميم. والمكان عند الآخرين، هو الذي يدلّ على الغربة والصراع والذي يعادل الخارج المنفتح دائماً ومشاعر الحزن والغربة واللااستقرار» (كحلوش، ٢٠٠٨م: ١٩٢). المكان عندي كغرفته في البيت والقرية والريف. يعدّ البيت الطفولي في "الأيام" من الأمكنة (عندي). المكان عندي: «هو المكان الذي أمارس فيه سلطتي ويكون لي حميما وأليفا» (الأحمر، ٢٠١٠م: ١٢٨) إنّ هذا المكان في "الأيام" اكتسب جماله من الأمّ وبما قامت به من جهد ذاتي

ومن حنان الأخت الكبرى ورعايتها له ومن الأب وحضوره القوي وترشيده الذكي وأيضاً من الإيقاع الدوري وتعاقب الأزمنة والفصول عليه، ومن الحركة الدووية لأهله جميعاً رجالاً ونساء وأيضاً إيقاع الحياة الرتيبة فيها وحلقات الذكر والشعر والرقصات الصوفية واجتماع الأهل حول المائدة واستضافتهم لشيخ الكتاب: «كانت زيارة هذا الشيخ وأصحابه شيئاً ترغب فيه الأسرة رغبة شديدة لأنه يمكنها من الفخر ورفع الرأس فإذا صليت المغرب مدت الموائد وأكل الناس ثم ينصب لمجلس يذكرون الله قاعدين ساكنين ثم تتحرك رؤوسهم وترتفع أصواتهم قليلاً ثم تتحرك أنصافهم ثم ينشدون شعر ابن الفارض وما يشبهه من الشعر» (حسين، ١٩٩٢م: ٢٩).

يبرز لنا المكان عندي بكامل بساطته الريفية: «إنّ البيت أكثر من منظر طبيعي إذ هو حالة نفسية ولو رأينا صورة له من الخارج إنّه ينطق بالألفة وكلّ مناطق الألفة موسومة بالجاذبية وجودها هو الوجود الهنيء» (الأحمر، ٢٠١٠م: ٤٢). فالبيت عند "طه حسين" ينتسب إلى ما نسّميه بالأمكنة الحنينية وهي: «الأمكنة التي تذكّرنا بالماضي والحنين إليه» (النابلسي، ١٩٩٤م: ٦٩). مثل ما يروي لنا شغفه وارتياحه للعب في زاوية من البيت: «فكان أحب اللعب إليه أن يجمع طائفة من الحديد وينتحي بها زاوية من البيت فيجمعها ويفرقها ويقرع بعضها ببعض ينفق في ذلك ساعات» (حسين، ١٩٩٢م: ٢٩). المكان وبخاصة الأليف كالبيت، كناية عن الذات وهو ركن الإنسان في العالم، كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى «فبدون البيت يصبح الإنسان، كائناً مفتتاً إنّه البيت يحمي الإنسان ويحتفظه عبر عواصف السماء وأهوال الأرض» (باشلار، ٢٠٠٦م: ٣٨). وأيضاً يسمّى بالمكان الرحمي الذي يبعث على الدفء والحماية والطمأنينة في أيام الطفولة مثل بيت الطفولة وبيعة القرية.

إنّ البيت للإنسان إمتداد لنفسه وفي "الأيام" يرمز إلى عالم الكاتب إلى ذاته الذي دائماً تنطوي على نفسه خاصة بحلول الظلام. أصبح الليل رمزاً لعالمه الذاتي ورمزاً للعمي والسياح الذي جاء ذكره في مستهل "الأيام" هو رمز لوجود الحاجز بين عالمه وعالمنا الذي لاحد له ولا نهاية له. أي شعور بلاهائية الوحدة والظلام وبامتداده في الأعماق حيث لا يفارقه لحظة واحدة. عبّر عن تلك الوحدة قائلاً: «فإنّما هي ذكري هذا السّياح الذي كان يقوم أمامه من القصب والذي لم يكن بينه وبين باب الدار إلا خطوات قصار فكان من العسير أن يتخطاه. فكان قصب هذا

السياج، مقترباً كماً كان متلاصقاً وكان يمتدّ عن شماله إلى حيث لا يعلم له نهاية» (حسين، ١٩٩٢م: ١٦). هنا تبرز جدلية الانغلاق بين ذاته المغلقة والمنطوية وعالم الخارج بتصوير السياج عبر توصيف المكان الذي يوحي بدلالة رمزية علي وجود حاجز وعائق في الخارج (السياج) - رمز العمى والطموح في إجتياز تلك العوائق في إشارة استباقية علي وجود هاجس لدي الكاتب في التخطي واجتياز الحدود وكسر الحواجز. كما يقول ابراهيم: «إن طه حسين كان وعيه بالمكان أقوى من وعيه بالزمان وإن صراعه مع المكان لم يكن إلا صدى لصراعه الواعي بين المحدود واللامحدود وبين القيد والحرية» (ابراهيم، ١٩٩٠م: ٥٠).

مما لاشكّ فيه أنّ المسكن بيت الأحلام والرؤي ومخزن الذكريات ورمز الحماية. فهنا نتساءل هل يحمل الداخل عندي دلالات السعادة والألفة والطمأنينة دائماً؟ وهل المكان عند الآخرين يعادل مشاعر الحزن واللااستقرار؟ في الحقيقة أنّ قيم السعادة قد تتحقق في المكان (عند الآخرين) كما لا تتحقق في المكان (عندي). «فإنّ الانفتاح والانغلاق خاصية في المكان كما هي خاصية في اللغة، الكلام يحمل هو نفسه جدل الانغلاق والانفتاح» (كحلوش، ٢٠٠٨م: ١٩٢). في الحقيقة لم يكن البيت يحمل دوماً الإيماءات الباعثة على الاطمئنان والهدوء في «الأيام» ف المكان عندي ليس غالباً يتّسم بالألفة والحميمية عند طه حسين وأتما هي انطباعات ومشاعر خلعت على المكان فغرفته باعثة على المخاوف والهواجس خاصة في الليل وتداخل الزمان فيها إنّ الأمكنة (عندي) باقتراحها مع الدلالة الزمنية (الليل) عمّقت وحدته، حيث الظلام ضخم المخاوف والهواجس بالنسبة اليه. «العتمة هنا ليست ناجمة عن أسباب داخلية للمكان المغلق أو لعدم وجود عناصر تحقق الألفة نظراً لعلاقتها الوطيدة مثلاً بالمكان الألفة القديمة ولكنها عتمة ناجمة عن مغلق آخر هذا المغلق هو أعماق الشخصية المتحدثة» (حمودة، ٢٠٠٧م: ١٠). إنّ الشعور بالوحدة، شعور لازمه طيلة حياته، ورغم أنّ الأسى والحزن قد بلغ به مبلغاً من الألم والحسرة لكنّه أبقى أن يشارك أحداً في حزنه فكان وحيداً في غربته وآلامه وحسراته. يصف لنا "طه حسين" هذا الشعور في صباه حين كانت أخته تهيمه للنوم: «كانت أخته تحمله بين ذراعيها كأنّه الثمامة وتعدو به إلى حيث تنيمه على الأرض وتضع رأسه على فخذه أمه ثمّ تعمد هذه إلى عينيه المظلمتين فتفتحهما واحدة بعد الأخرى وتقطّر فيهما سائلاً.. وهو يألم ولكنّه لا يشكو ولا يبكي لأنّه يكره أن يكون

كأخته الصغيرة بكاء شكاء. ثم ينقل إلى زاوية في حجرة صغيرة فنتيمه أخته على حصر قد بسط عليها لحاف وتذره وإن في نفسه حسرات» (حسين، ١٩٩٢ م: ١٧). ما فارقه تلك الهواجس والوحدة والحسرات فعند ما كان طالباً أزهرياً يصف لنا وحدته في القاهرة بهذا الوصف: «كانت كل هذه الحسرات تضطرب في نفسه أشد الاضطراب وهو ساكن أشد السكون... إنما هو السكون والسكون المتصل الطويل.. يردد في نفسه تلك الحسرات اللاذعة.» (حسين، ١٩٩٢ م: ١٦٠-١٦١).

إنّ هذا الشعور، ليس ناجماً عن الظلام فحسب بل في الحقيقة مصدره هو أعماق شخصيته، وعقله وحسّه المضطرب: «وكان يجد في الظلمة وحشة لعلها كانت تأتيه من عقله الناشيء ومن حسه المضطرب» (حسين، ١٩٩٢ م: ١٦٣).

تمتج هذه الأمكنة عندي وعند الآخرين في "الأيام" كلّها بالطابع النفسي للشخصيات وأيضاً بالشعور بالغرابة والوحدة لأنّ «المكان لا يظهر إلاّ من خلال وجهة نظر شخصية تعيش فيه أو تختبره» (الأحمر، ٢٠١٠ م: ١٢٦). نري بجانب ذلك، دلالة الزمن (الليل) وبما توحى من حزن، وألم، واحتقار والتي «ترتبط بالإدراك النفسي كما يرتبط المكان بالإدراك الحسي» (عزام، ٢٠٠٥ م: ٦٦). فالمكان عندي لدى "طه حسين" لا يرمز إلى الألفة والشعور بالراحة، بل هو عاكس نفسيته المتوجسة الشاعرة بالقلق والخوف. يبدو أن جدلية الزمان والمكان تتداخل وتتشابك بالشخصية وتتفاعل معهما عبر الأمكنة والفضاء الروائي.

فلا نعدم القول إذا قلنا إنّ شخصية طه حسين المحورية بحاجة إلى اطمئنان ما؛ الخوف الداخلي الذي خلف حياة الشخصيات لم ينقذه المكان بل إنّ المكان زادها إغتراباً «فتصبح الأماكن الصغيرة أي الغرف أو الشارع دليلاً علي تشابك العلاقات ووحداية الفرد والعزلة المصحوبة بالألم» (النصير، ١٤٣٠ ق: ٦٣). إنّ «هذه الأماكن المغلقة هي أماكن مأهولة بالبشر ولكنها تنصّف بالانغلاق والعزلة وإثما تسورهم بالسائرات والسواتر وتلقي بهم في دياجير أقبيتها المدلهمة» (الأنباري، ١٤٣١ ق: ٤٤). فكما أسلف الذكر إن المكان الذي يتعلق بوحدة الإنسان هو مكان خلّاق ويتسم بالجاذبية والعزلة وربّما بالوحشة وليس بالضرورة أليفاً.

### المكان عند الآخرين

«هو نقيض المكان عندي (المكان الأليف والأمين) ويسمى المكان الخارج والمفتوح والذي يوقر حماية أقل» (كحلوش، ٢٠٠٨م: ١٩١) إنه يعكس ولعاً بالأفكار المجردة والمسميات الجاهزة وينفر عن تلك الخصوصية التي تربط بين الشخصية ومكانها أو زمانها ويمثل التنافس والصراع والتناقضات. والمكان عند الآخرين هي الأماكن الواسعة التي تحتفي فيها حرية الفرد وتظهر حرية الجماعة حتى فيما يمكن اعتباره مادياً ضيقاً مغلقاً نحو: الكتاب والمقهى في كتاب "الأيام". يعدّ البيت الطفولي في "الأيام" من الأمكنة (عندي) والكتاب والطريق من الأماكن عند الآخرين.

### الكتاب

لانكاد نري وصفاً جامعاً ودقيقاً لهذا المكان إلا وقد طغى الجانب النفسي عليه فيأتي الوصف الخارجي وصفاً عابراً خاطفاً يقحم الكاتب المكان بوصف نفسي للشخصيات كأنها قد ألصقت بذلك المكان الذي احتوته وانعكست عليه. كما صوّر لنا شخصية شيخ الكتاب على النحو التالي: «يري نفسه في ضحي يوم جالساً علي الأرض بين يدي سيدنا ومن حوله طائفة من النعال كان يعبث ببعضهما وكان سيدنا جالساً علي دكة من الخشب صغيرة ليست بالعالية ولا المنخفضة قد وضعت علي يمين الداخل من باب الكتاب بحيث يمر كل داخل بسيدنا إن سيدنا لا يعفي نعليه وكان يرقّعهما من اليمين ومن الشمال ومن فوق ومن تحت وكان اذا أخلت به احدي نعليه، دعا أحد الصبيان و قال له: تذهب إلي الحزين فتقول له: يقول لك سيدنا أنّ هذا النعل في حاجة الي لوزة من الناحية اليميني.. وكان سيدنا يحب الغناء لا يعي بصوته ولسانه وإمّا يعي براسه وبدنه ايضاً» (حسين، ١٩٩٢م: ٣٣ - ٣٤). إذن نري خلا المكان من أي وصف مادي وتركز علي الوصف النفسي الذي يأتي من داخل الإنسان ومن الخارج فهو يوصف من خلال أفعال الحركة الانسانية التي تعتريه. فبرغم من انعدام الوصف الطبوغرافي لهذا المكان إلا امتلأنا إحساساً وفتنة بحضوره فبدت لنا شخصية الشيخ بصفتها النفسية من خلال حضورها في المكان.

## التقاطبات في الكتاب

يقوم التحليل للفضاء الروائي في كتاب "الأيام" على التقاطبات والثنائيات وقد برز جلياً في الكتاب، حيث العلاقات المتداخلة والمتشابكة والمتقاطبة عند كل من شخصيات الكتاب: بين الشيخ والعريف من جهة وبين "سيدنا" و"العريف" وباقي الطلبة ثم بين "طه حسين الطفل" وباقي الطلاب من جهة أخرى. حيث الخداع والارتشاء والغناء والتعديد وسرد القصص وحفظ القرآن والكذب والسرقة وخلف الوعد والتي أضفت عليه نوعاً من العلاقات المادية والنفعية. لا يعكس لدينا الكتاب إلا تلك التقاطبات والثنائيات مكوناً بصورة الصراع النفسي والعقدي لدي "طه حسين" والتي تدلّ علي بذرة تكوين نوعاً من الصراع بين القديم (المتمثل بالكتاب) والجديد (الجامعة) وفيما بعد بين الشرق والغرب. يعكس هذا المكان جدلية الأنا والآخر ضمن ما يوصف ويتمظهر في المكان (الكتاب) خاصة بينه وبين العريف بعد أن انقطعت صلة الصبي التعليمية بسيدة في الكتاب واتصلت بالعريف. ولكن تلك الجدلية تبرز متشابكة بالزمان أيضاً فإننا لا نرى وصفا للمكان إلا وللزمان حضور وتمازج: «من ذلك اليوم انقطعت صلة الصبي التعليمية بسيدنا واتصلت بالعريف... اتصل صبينا بالعريف وأخذ يتلو القرآن بين يديه ستة أجزاء في كل يوم ولكن ذلك لم يستمر ثلاثة أيام ضاق الصبي بهذه التلاوة منذ يوم الأول وضاق العريف بها منذ اليوم الثاني وتكاشفا بهذا الضيق في اليوم الثالث... كان الصبي يشترى صمت العريف بكل شيء وكم دفع إلى العريف ما كان يملأه جيبه من خبز أوفطير أو تمر» (حسين، ١٩٩٢ م ٤٦ و ٤٩).

إنّ التقاطبات في الكتاب تبدو متمازجة بالمكان والزمان متداخلة بالحالة الشعورية للشخصيات. وبالتالي يصبح للمكان أبعاد رمزية ودلالات موحية خاصة حينما يكون مسرحاً للصراعات والتقابلات على الصعيد الفكري والنفسي والعقدي... إنّ "طه حسين" مثل تلك التقاطبات خير تمثيل يكاد يكون الكتاب هو التقاطب بعينه.

تنوع الأمكنة في الرواية مروراً بالبيت، والكتاب، والقرية، والقاهرة والأزهر و وصولاً إلى باريس. فمن المكان عندي إلي مكان عند الآخرين ومن علاقات محدودة إلي علاقات متعددة ومن طرق سهلة إلي السعي في طرق ضيقة مظلمة ملتوية فكأنها تصوّر شخصيته النامية الآخذة في الاكتمال. ضمن هذا الموضوع يصف لنا "طه حسين" نوعية العلاقة بين شيخ الكتاب

والعريف: «كان العريف يبغض سيدنا بغضاً شديداً ويزدرية ولكنّه يصانعه وكان سيدنا يكره العريف كرهاً عنيفاً ويحتقره ولكنّه يتملّقه. فأما العريف، فكان يكره سيدنا لأنّه غشاش كذاب، يخفي عليه بعض موارد الكتاب ويستأثر بخير ما يحمل الصبيان ويزدرية، لأنّه قبيح الصوت يتكلّف حُسن الصوت وسيدنا يكره العريف، لأنّه مكّار داهية... و لأنّه سارق» (حسين، ١٩٩٢م: ٤٧).

الكتاب في "الأيام" هو مكان لحفظ القرآن ومكان للعلم والأدب من جهة، ومكان للعبث والخداع والغشّ والغناء والارتشاء وسيادة العلاقات النفعية والمادية من جهة أخرى. إن هذا المكان يمثّل الصراعات والتناقضات بقوة ويعطي انطباعاً سلبياً عن تلك الأمكنة (عند الآخرين) خاصة الكتاب.

### الطريق

تبرز جماليات الطريق والشارع من خلال ارتباطه بذكرى معينة أو من خلال العلاقة برؤية معينة أو ربطه بخيال معين أو بعواطف معينة. إنّ الشارع كمكان وكعنصر جمالي مكاني قد ارتبطت جمالياته بالنفس الإنسانية وتجلياتها «فجماليات الشارع العربي ليست في ذاتها فقط وإنما بما تصّبه النفس عليها من المشاعر» (النايلسي، ١٩٩٤م: ٦٦) وأيضاً يعتبر الطريق أو الشارع من الأماكن العامة التي «ليست مُلكاً لأحد معين ولكنّها مُلك للسلطة العامة النابعة من الجماعة» (الأحمر، ٢٠١٠م: ١٢٧). في زمكان الطريق تتقاطع في نقطة زمانية ومكانية واحدة، الدروب الزمانية والمكانية لمختلف ألوان الناس ممثلي كل الفئات ولهذا الطريق أبعاد متنوعة وبعد عياني، حيث يكون الانتقال المكاني واضحاً ومتصلاً بطريق الحياة. الطريق هو استعارة فنية لطريق الحياة وتحوّل إلى طريق جديد. يوحي بتنقل الانسان عبر المكان والزمان.

«إن الطريق يندرج تحت موضوعين مترابطين هما: البحث عن الذات وعلاقة الفرد والجماعة» (حمودة، ٢٠٠٧م: ٦٧). يخرج "طه حسين" من عالمه المألوف ويقطع طرقاً متنوّعة إلى عوالم أخرى؛ فحينما يصف الكاتب الشوارع الضيقة والطرق المتلوية ويسقط عليها الذعر والحزن والشعور بالكراهية خاصة في شارع "الخلوجي" وهو شارع العلم والجدّ والعمل. حسب قوله. كأنّ بتعرجاته والتوائه واضطراب خطاه فيه يصف نفسيته وتشرده وحيرته المضلّة الباهضة التي تفسد علي المرء أمره وتجعله يتقدم أمامه لا علي غير هدي في طريقة المادية بل علي غير هدي في طريقة المعنوية

أيضاً وإن نراه فيما بعد يمتدح هذا الشارع فكأنه يريد أن يبارك لنفسه هذه الانطلاقة.

قدّم "طه حسين" جماليات الطريق من خلال اللحظة التي كان يعيشها ومن خلال مشاعره الخاصة والمنظور النفسي. وما الطريق من البيت إلى الأزهر إلا ويمثّل تردّده واضطرابه من المكان عندي عبر طريق ضيق إلى فضاء أوسع وهو صحن الأزهر (المكان عند الآخرين) فينتعش انتعاشة قصيرة ولكن سرعان ما تتبدّد وتخب. فيمثّل لنا هذه الخيبة برجوعه مرهقاً من الأزهر إلى الغرفة ملقياً نفسه علي ذلك البساط القديم الذي ألقى علي حصير بالٍ عتيق» (حسين، ١٩٩٢م: ١٤٥). فالطريق هو نفس وذات طه حسين بتعرجاته وبالتوائه وما يعتريه من عثرات تمثّل نفسيته المتشرّدة وغير المستقرة آنذاك.

إنّ التراوح بين الأزهر والطريق والبيت يمثّل تقلّبه بين تلك الأمكنة بحثاً عن ضالّته التي كان يأمل أن يجدها هناك وقد سمى ذلك الانتقال بين كل من تلك الأمكنة بالطور دلالة على طموحه والانطلاق نحو آفاق وفضاءات أوسع. فالأزهر (المكان عند الآخرين) بزمكانيته تبعث على الهدوء والسكينة والإجلال، وتمنح البركة والطهر: «وكان الصبي يسعى أمامه مع صاحبه حتى يقطع الصحن ويصعد هذه الدرجة اليسيرة التي يتدىء بها الأزهر نفسه، فيمتلئ قلبه خشوعاً وتمتلىء نفسه إكباراً وإجلالاً ويخفف الخطى على هذه الحصر المبسوطة البالية، كأنها تريد أن تتيح لأقدام الساعين عليها شيئاً من البركة بلمس هذه الأرض المطهرة» (حسين، ١٩٩٢م: ١٤٠). الدرج الذي يتدىء بها الأزهر ما هو إلا تعبيراً عن الطموح والنزوع إلى المجد والزقي. لكنّه يصطدم بالواقع لما يراه من تعنت وجمود فكأنّ الدروس سلسلة تقيده كما هو تقيّد بتلك السلاسل المشدودة إلى جانب العمود: «وكان الصبي يجلس إلى جانب ذلك العمود، يعبث بتلك السلسلة ويسمع للشيخ وهو يلقي دروسه في الحديث، ولا يذكر منه إلا تلك الأسماء التي كانت تساقط على الطلبة يتبع بعضها بعضاً، تسبقها كلمة "حدّثنا" وتفصل بينها كلمة "عن" وكان يتمي أن تنقطع هذه العنينة» (حسين، ١٩٩٢م: ١٤١).

فبعد أن يخيب ظنّه وأمله، يعود الصبي إلى ما كان عليه من يأس وقنوط: «هنالك يعود صاحبنا إلى الصبي، فيأخذه بيده في غير كلام، ويجذبه في غير رفق ويمضي به حتى يخرج من الأزهر والبيت، ثمّ إلى طوره الأول، فيلقيه في مكانه من الغرفة على ذلك البساط القديم الذي

ألقى على حصير بال عتيق» (حسين، ١٩٩٢م: ١٤٥). في مثل هذا الموقف، ربما يتبادر هذا السؤال إلى الأذهان لماذا يكثر طه حسين من إستخدام مفردات (البالي والعتيق)؟ أما تكون هذه المفردات (البالي، والعتيق) تحمل في ذاتها إشارة خفية إلى الخيبة من كلّ قديم تتمثل في الأزهر؟ والرغبة في كل جديد؟ هذا الصراع المرير بين القديم والجديد . كما نرى في المستقبل . قاده إلى ترك الأزهر والدخول في الجامعة ثمّ في الجامعات الغربية وفرنسا.

### دلالة الزمان وامتزاجها بالمكان

قد بدأ الكاتب سيرته الذاتية بالزمن مصرّحاً عليها إذ سَمّي كتابه "بالأيام"، لكن شعوره بالزمان ليس كشعوره بالمكان من حيث القوة والحدة والتأثر. يقول طه حسين في مستهل "الأيام" معبرا عن ذلك الشعور: «لا يذكر لهذا اليوم اسما ولا يستطيع أن يضعه حيث وضعه الله من الشهر والسنة بل لا يستطيع أن يذكر من هذا اليوم وقتا بعينه وإنما يقرب ذلك تقريبا» (حسين، ١٩٩٢م: ١). «إن هذه العبارة تكشف لنا في وضوح عن أن إحساس طه حسين بهذا اليوم الذي تقرر فيه مصيره من حيث هو زمن بحت، إحساس باهت، وهو لذلك لا يتذكر هذا اليوم على وجه التحديد؛ فهذا اليوم قد أصبح شبيهاً بأقدم يوم بدأت فيه الحياة لتصبح مستقبلاً وهو في ضمير "طه حسين" اليوم المجهول أو اليوم الشيخ الذي كان لا بد له من أن يغالبه في نفسه لينفلت منه صعوداً إلى النور إلى المستقبل» (إبراهيم، ١٩٩٠م: ٥١). الزمن غير محدد في الأيام ومتّسم بالكلية والشمولية، إنه الليل في ظلمته ووسعته وشموليته فهو يأخذ طابعا واحداً وكلياً بالنسبة إلى صاحبنا الكفيف وإن تعددت الأماكن فيه واختلقت الأطوار. الزمن يعكس عنده طابعا واحداً وهو الشعور بالوحدة والغربة. نلاحظ أن الحقبة الزمنية في هذا الكتاب تبدأ من الطفولة، حيث البراءة الفطرية ومحاولة اكتشاف العالم لكنها تبعث عليّ إلاشفاق والبؤس والحرمان والازدراء في نفسيته والذي ظلّت ثابتة فيه وإن التقى في ما بعد (بالأماكن عند الآخرين) أي الأزهر والجامعة واستطاع أن يخترق الحدود بجسده، لكن ظلّت تلك الآلام والشعور بالوحدة عالقة ومتأصلة في ذاته فكانت تتناهب نوبات الكتابة وأثناءها ينطوي وينغلق عليّ نفسه. إنّ الزمان (الليل) وغرفة النوم (المكان) يأخذ طابعاً مخفياً ومقترناً بالأهوال والعفراريت والأوجال في طفولته: «فكان يقضي ليله خائفاً مضطرباً ويقضي شطراً طويلاً من الليل في هذه الأهوال والأوجال والخوف من العفراريت»

(حسين، ١٩٩٢م: ١٩).

فتبقي دلالة الليل والظلمة باجاءاتها المخيفة وأحزانها ماثلة فتطاردته بنفس الشدة في القاهرة فتبقي موحية بالتحسّر والعذاب والسكون والوحشة ممتزجة بالمكان: «أما هو السكون والسكون المتّصل الطويل بالألم. أخذ يتسرّب إلى نفسه شعور شاحب هادىء حزين. فيعرف الصبي أنّ الليل قد أقبل ويقدرّ في نفسه أنّ الظلمة قد أخذت تكتنفه ويقدرّ في نفسه لو كان معه في الغرفة بعض المبصرين ليضيء المصباح ويطرده هذه الظلمة المتكاثفة» (حسين، ١٩٩٢م: ١٦٢). تبرز هنا جدلية المكان والزمان عند "طه حسين" بوضوح. جدلية بين المكان الواقعي وعندى وبين الزمان مسقطاً عليهما أحاسيسه ومشاعره. ولولا هذا الشعور بالوحدة والغربة المتأصل في أعماق نفسه والذي منحه هذه الحساسية المفرطة تجاه الأحداث في ترسيمه للمشاعر والأحاسيس بكلّ شفافية ووضوح ما استطاع صاحبنا أن يأتي بتلك الآثار الأدبية التي بهرت الأدب العربي وعالمه. لازمته هذه الغربة وهذه الجدلية الزمكانية طيلة حياته فقد صرح بما في مرحلة متقدمة من حياته حينما كان في باريس: «الليل لا يكاد يتقدم حتى يتفرق عنه رفاقه جميعا وإذا هو يخاو إلى نفسه هذه الخلوة المرة التي لا يجد عليها معينا. كان يرى نفسه غريبا أينما كان وحيثما حل لا يكاد يفرق في ذلك بين وطنه الذي نشأ فيه وبين غيره من الأوطان الأجنبية التي كان يلم بما لأن ذلك الحجاب الصفيق البغيض الذي ضرب بينه وبين الدنيا منذ أول الصبا كان محيطا به» (حسين، ١٩٩٢م: ٤٥٢).

### النتيجة

حصلت هذه الدراسة علي نتائج نذكرها علي النحو التالي:

الكشف عن جماليات الفضاء ودوره في إلقاء المعنى وتكثيف الدلالة وما توحى من مشاعر وأحاسيس وتبيين أثره على نفسيّة الكاتب باستشعار الدلالات التي ترمز إلى التغيّرات والمنعطفات في حياته.

اعتبار الأماكن عند الآخرين "الأزهر" و"الكتّاب" رمزا للانغلاق والجمود، خلافا لما توحى هذه الأماكن من انفتاح، فبالتالي مولدة شعورا بالضيق في نفسيته خلافا لما نراه في الجامعة وفيما بعد في فرنسا، من إنطباق دلالة هذه الأماكن على الشعور بالانفتاح فبالتالي الارتياح لديه. فيتضح أن

الأمكنة والأفضية تابعة وخاضعة لنفسية الشخصية.

تبيين التقاطبات المكانية ودورها في الكشف عن رؤية طه حسين الفكرية والصراعات الحاكمة على مستوى العلاقات بين الشخصيات في الرواية، خاصة في الكتاب، بين شيخ الكتاب والعريف وبين العريف وباقي الطلبة وبين طلبة الأزهر وطلاب الجامعة فضلا عن التقابلات الثقافية والجغرافية والنفسية التي تجلت في التقابل بين نظام التدريس في الأزهر ونظام الجامعة وبين مصر وفرنسا وأخيرا بين الشرق والغرب.

الكشف عن دلالة الزمان وجمالياته في السرد، خاصة الليل وما توحى من شعور، وآلام، وأحزان، وتلازم هذه الدلالة بالأمكان المغلقة كالبيت تزيد من حدة شعور الشخصية بالوحشة والغربة.

إن الأماكن عندي في كل أطوار حياة الشخصية ليست بالضرورة تعادل الراحة والطمأنينة وليست معبرة عن الهناء والهدوء بل تصبح شرنقة لذات الشخصية ووقوعة وانكماشاً وعزلة. إبداء جماليات الزمان والمكان في الأماكن عندي وعند الآخرين، كالبيت، الكتاب، الطريق.

## المصادر

### كتب

- الأحمر، فيصل (٢٠١٠م)، معجم السيميائيات، الطبعة الأولى، بيروت: دارالعربية للعلوم ناشرون.
- الأنباري، صباح (١٤٣١ق)، المكان ودلالته الجمالية في شعر شيركو بيكس، الطبعة الأولى، دمشق: دارينوى.
- باشلار، غاستون، (١٩٨٧م)، جماليات المكان، مترجم: غالب هلسا، الطبعة الثالثة، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- حسين، طه، (١٩٩٢م)، الأيام، الطبعة الأولى، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر.
- حمودة، حسين، (٢٠٠٧م)، في غياب الحديقة حول متصل الزمان / المكان في روايات نجيب محفوظ، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة المدبولي.
- زيتون، علي مهدي، (٢٠١١م)، في مدار النقد الأدبي، الطبعة الأولى، بيروت: دارالفارابي.
- صبحي، محي الدين، (لاتا)، نظرية الأدب، الطبعة الثالثة، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- الطعان، صبحي، (١٩٩٥)، عالم عبدالرحمن منيف الروائي، الطبعة الأولى، عمان: داركنعان للنشر.
- عزام، مُجذ، (٢٠٠٥م)، شعرية الخطاب السردية، الطبعة الأولى، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- عمر، عبد الواحد، (٢٠٠٣م)، السرد والشفاهية: دراسة في مقالات الهمذاني، الطبعة الثانية، دارالهدى للنشر والتوزيع.
- علي، أحمد، (١٩٨٥م)، طه حسين رجل وفكر وعصر، الطبعة الأولى، بيروت: دار الآداب.
- فيصل، سمروحي، (٢٠٠٣م)، الرواية العربية: البناء والرؤيا، مقاربات نقدية، الطبعة الأولى، منشورات اتحاد كتاب العرب.
- قاسم، سيزا، (١٩٨٤م)، بناء الرواية دراسة مقارنة ثلاثية نجيب محفوظ، د ط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- قصراوي، مها، حسن، (٢٠٠٤م)، الزمن في الرواية العربية، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- كحلوش، فتحية، (٢٠٠٨م)، بلاغة المكان، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الانتشارات العربي.
- النايلسي، شاكرا، (١٩٩٤م)، جماليات المكان في الرواية العربية: في رواية غالب هلسا، د ط، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- النصير، ياسين (١٤٣٠ق)، الرواية والمكان؛ دراسة المكان الروائي، الطبعة الثانية، دمشق: دارنينوى.

#### مقالات

- ابراهيم، نبيلة، (١٩٩٠م)، «خصوصية التشكيل الجمالي في أدب طه حسين»، مجلة فصول، أكتوبر، العدد ٣٢ و٣٤.

## زیبایی‌های فضا در کتاب «الأيام»

### (با تکیه بر بعد روانی شخصیت)

علی‌رضا محمدرضایی<sup>۱\*</sup>، جهاد فیض‌الاسلام<sup>۲</sup>، عبیر جادری<sup>۳</sup>

۱. دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه تهران، پردیس فارابی

۲. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه تهران، پردیس فارابی

۳. دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی دانشگاه تهران، پردیس فارابی

### چکیده

زمان و مکان از مهم‌ترین تکنیک‌های روایت به شمار می‌روند که فضا و چهارچوب آن را شکل می‌دهند. چراکه رویدادها بر ضرباهنگ زمان حضور خود را نقش می‌بندند و شخصیت‌ها در مکان حرکت و جان می‌یابند و روایت در چهارچوب زبان با تکیه بر دو بُعد زمانی و مکانی شکل می‌پذیرد. دو عنصر زمان و مکان، با دیگر مؤلفه‌های داستانی چون شخصیت‌ها و رویدادها، رابطه‌ای چالشی و متقابل دارند. همین روابط است که رنگ‌وبوی خاصی به داستان می‌دهد و زمان و مکان را غنا و عمق می‌بخشد. این مقاله، کتاب «الأيام» طه حسین را که روایتی کلاسیک و شرح زندگی وی است، مورد بحث قرار می‌دهد و بر طبق تقسیم‌بندی لوتمان "Lotman" زمان و مکان و زیبایی‌های فضای داستان را با تکیه بر مسائلی همچون: نمایش بُعد درونی شخصیت‌ها، توصیف زیبایی‌های مکان‌های باز و بسته مورد توجه قرار می‌دهد. روش توصیفی - تحلیلی و گاهی روش تحلیل درونی و روانی روش‌های به‌کاررفته در این مقاله بوده‌است و سعی شده شواهد از خود متن داستان باشد.

**کلیدواژه‌ها:** طه حسین؛ الأيام؛ فضا؛ زمان؛ مکان؛ شخصیت.

